إشكالية التواصل بين يورغن هابرماس وكارل أوتو آبل:
(قراءة فلسفية مقارنة)

أماني عبد الله محمد اليمني

مدرس بقسم الفلسفة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة صنعاء– الجمهورية اليمنية

البريد الإلكتروني Email : poolk5067@gmail.com

الكلمات المفتاحية: هابرماس، آبل، الفعل التواصلي، البراغماتية الترانسندنتالية، الحجاج.

كيفية اقتباس البحث

اليمني ، أماني عبد الله محمد، إشكالية التواصل بين يورغن هابرماس وكارل أوتو آبل: (قراءة فلسفية مقارنة)،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، شباط ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٢ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The problematic of Communication between Jurgen Habermas and Karl-Otto Appel: A comparative Philosophical study

Amani Abdullah Mohammed Al-Yemeni
Lecturer, Department of Philosophy, Faculty of Arts and Humanities, Sana'a University

Keywords : : Habermas, Apel, Communicative Action, Transcendental Pragmatics, Argumentation.

How To Cite This Article
Al-Yemeni, Amani Abdullah Mohammed, The problematic of Communication between Jurgen Habermas and Karl-Otto Appel: A comparative Philosophical study, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, February 2026,Volume:16,Issue 2.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract English:

This study aims to present a comparative philosophical analysis of two prominent contemporary thinkers: Jurgen Habermas and Karl-Otto Apel. The focus is on the concept of "Communicative Action" as central themes in both of their projects. Habermas critiques instrumental reason as a root cause of the modernity crisis and proposes in Communication. Mutual understanding and dialogue. His theory of communicative action serves as acritical response to reconstruct the link between language, reason, ane ethics.

Apel, on the other hand, develops his theory of "Transcendental Pragmatics" which seeks to integrate Kantian normative thinking with discursive ethics, where rational argumentation becomes the foundation for truth and moral norms. He argues that every communicative act

implicitly assumes mutual responsibility and recognition of the other, there by granting it a transcendental normative dimension.

The research also explores the philosophical roots of communicative action in the works of kant and peirce, and highlights its practical applications in addressing contemporary issues such as global justice, intercultural dialogue, digital public spheres, and identity. The study emphasizes the complementarity of Habermas's deliberative framework and Apel's normative foundation in developing a universal communicative rationality suited for modern societies.

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة فلسفية مقارنة بين اثنين من أبرز المفكرين في الفلسفة المعاصرة، وهما يورغن هابرماس وكارل أوتو أبل، من خلال التركيز على مفهوم "الفعل التواصلي" بوصفه أحد المفاهيم المركزية في مشروع كل منهما. انطلق هابرماس من نقد العقل الأداتي الذي رأى أنه ساهم في أزمة الحداثة، ساعيًا إلى بلورة عقلانية بديلة تقوم على أسس تواصلية، تجعل من الفهم المتبادل والحوار قاعدة للتفاهم المجتمعي، ويقدم نظريته في الفعل التواصلي كبديل نقدي لأنماط العقلنة الوظيفية، ساعيًا من خلالها إلى إعادة بناء العلاقة بين اللغة والعقل والأخلاق.

من جانبه، طور آبل ما أسماه (البراغماتية الترانسندنتالية)، وهي محاولة للجمع بين البعد المعياري للتفكير الكانطي، وأسس الفهم التداولي الذي يجعل من الحجاج والنقاش العقلاني أساسًا لتكوين الحقيقة والمعايير الأخلاقية، ويرى آبل أن كل فعل تواصلي يتضمن افتراضات ضمنية حول مسؤولية المتكلم والاعتراف بالآخر، ما يمنح الفعل اللغوي بعدًا معياريًا قبليًا.

يتناول البحث أيضًا الجذور الفلسفية لهذا المفهوم لدى كل من كانط وبيرس . كما يستعرض التطبيقات الممكنة للعقلانية التواصلية في قضايا معاصرة، مثل: العدالة العالمية، والحوار الثقافي، والمجال الرقمي، والهوية، مؤكدًا على أهمية التكامل بين المقاربة التداولية عند هابرماس والتأصيل المعياري عند آبل في بناء عقلانية تواصلية كونية قابلة للتطبيق في السياقات الحديثة.

المقدمة:

في ظل التحولات الكبرى التي شهدها الفكر الفلسفي في القرن العشرين، برزت إشكالية العقلانية بوصفها مركزًا للتساؤل الفلسفي، لا من حيث كونها أداة للمعرفة فحسب، بل بوصفها أفقا لتشكيل المعايير الأخلاقية والاجتماعية التي تنظم العلاقة بين الإنسان والعالم.

وقد أدى تزايد هيمنة النزعة التقنية والعقل الأداتي، إلى إحداث انقطاعات حادة بين الذات والمجتمع، وبين الفعل الفردي والإجماع الجماعي، مما دفع عدداً من المفكرين إلى إعادة التفكير في أسس الفعل العقلاني.

وقد شكلت اللغة– بما تحمله من طابع تواصلي– مدخلاً محوريًا في هذا المسعى الفلسفي الجديد، إذ لم تعد تُنظر إليها بوصفها أداة محايدة لنقل المعاني، بل باعتبارها بنية تؤسس للفهم المتبادل، والتوافق الأخلاقي، والمشاركة في بناء المعنى. وفي هذا السياق ظهرت الحاجة إلى عقلانية جديدة تتجاوز النزعة الأداتية، وتعيد الاعتبار للفعل التواصلي، بوصفه فضاءً لتبادل المبررات وتأكيد القيم.

ومن بين أبرز المشاريع التي سعت إلى تأسيس هذا الأفق الجديد، يبرز مشروع يورغن هابرماس الذي انطلق من نقد العقل الأداتي، وتطوير نظرية الفعل التواصلي، ومشروع كارل أوتو آبل الذي قدم ما يُعرف بـ: (البراغماتية الترانسندنتالية)، بوصفها محاولة تأصيلية لأخلاقيات الحوار. كلا المشروعين ينتمي إلى الفلسفة النقدية، ويتقاطعان في مركزية اللغة، وأهمية الفعل الحواري في بناء العقلانية، غير أن لكل منهما منهجيته الخاصة وأفقة التأويلي المختلف.

من هنا، تصبح المقارنة بين هابرماس وأبل ضرورة فلسفية لفهم أكثر عمقا للفعل التواصلي، لا بوصفه مجرد نموذج للتفاعل اللغوي، بل أساسا لبناء نظرية عقلانية كونية تتجاوز الخصوصيات الثقافية والتاريخية. وتكمن أهمية هذا المقارنة في أنها تجمع بين بُعدين متكاملين: البعد التداولي والتحليلي عند هابرماس، والبعد التواصلي والمعياري عند آبل، مما تتيح إمكانات جديدة لتفعيل الفلسفة في الزمن المعاصر.

وانطلاقًا من هذه الخلفية، شهدت الفلسفة المعاصرة، منذ النصف الثاني من القرن العشرين، تحولات عميقة في موضوعاتها وأدواتها، خصوصًا مع تراجع المفاهيم الميتافيزيقية التقليدية، وصعود قضايا اللغة والتواصل والتفاهم بوصفها مدخلا لإعادة بناء العقل الفلسفي. فقد أصبح النظر في إمكانية التواصل العقلاني بين الأفراد والجماعات من المهام الجوهرية للفكر الفلسفي، بعد أن عجزت أنماط العقل الأداتي عن توفير أسس معرفية وأخلاقية تضمن التفاعل الإنساني الحر والعادل.

ومن هذا المنطلق، جاءت مشاريع كل من يورغن هابرماس وكارل أوتو آبل؛ لتعيد مسألة الأسس اللغوية، التي يقوم عليها الفعل الإنساني، من خلال تطوير مفهوم (الفعل التواصلي) لا بوصفه مجرد نشاط لغوي، بل باعتباره بنية عقلانية وأخلاقية تقوم عليها العلاقة

بين الأنا والأخر، وقد سعى هابرماس وآبل إلى بناء نظرية تواصلية تتجاوز إخفاقات العقلانية الغربية الكلاسيكية، وتفتح أفقًا عقلانيًا حجاجيًا يؤسس لإمكانية الفهم المتبادل والتوافق الأخلاقي. لقد مثلت نظرية الفعل التواصلي عند هابرماس تطورًا نوعيًا في الفكر النقدي المعاصر، إذ انتقلت من طابع التشخيص الاجتماعي إلى مستوى التأسيس الفلسفي للعقلانية، من خلال إعادة بناء العلاقة بين اللغة والعقل والأخلاق. بينما حاول كارل أوتو آبل– من أفق ترانسندنتالي– أن يؤسس لبراغماتية معيارية، تستند إلى الشروط القبلية لإمكان الحوار، وتستخلص منها المبادئ الأخلاقية العامة.

من هنا يتمحور هذا البحث حول إشكالية مركزية مفادها:

ما طبيعة الفعل التواصلي عند هابرماس وآبل؟ وما أوجه الاتفاق والاختلاق بين المقاربتين لهذا المفهوم؟ ويتفرع عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية، منها: ما الأسس الفلسفية والمنهجية التي اعتمدها هابرماس وآبل في تأسيس نظرية الفعل التواصلي؟ وكيف تتجلى العلاقة بين اللغة والفعل والأخلاق في المشروعين؟ وما الفرق بين المقاربة الواقعية النقدية عند هابرماس، والمقاربة الترانسندنتالية المعيارية عند آبل؟ وأي من المشروعين أكثر قدرة على تقديم نظرية عقلانية كونية قابلة للتطبيق في المجتمعات المعاصرة؟

وتأتي أهمية هذا البحث من كون مفهوم الفعل التواصلي يمثل إحدى أبرز المحاولات المعاصرة لتجاوز أزمة العقل الغربي، وإعادة بناء العلاقة بين الأفراد على أسس من الحوار والتفاهم والاعتراف المتبادل. كما أن المقاربة بين هابرماس وآبل تتيح لنا فهمًا أدق للخلفيات الفلسفية التي يقوم عليها التفكير التداولي المعاصر، وما يحمله من رهانات معرفية وأخلاقية.

ويهدف هذا البحث إلى تحليل الجوانب النظرية التي تقوم عليها العقلانية التواصلية عند كل من هابرماس وآبل، وتحديد أوجه التشابه والتمايز بين المشروعين، والكشف عن مدى إمكانية التكامل بينهما لتقديم نموذج فلسفي متكامل للتواصل الإنساني، كما يسعى إلى بلورة تصور فلسفي قادر على المساهمة في بناء مجال عام عقلاني، يعزز القيم الإنسانية المشتركة، ويؤسس لحوار عالمي أكثر عدلًا وفاعلية.

ولتحقيق هذه الأهداف، اعتمد البحث منهجًا تحليليًا مقارنًا، يقوم على دراسة النصوص الفلسفية الأصلية، وتحليل المفاهيم المركزية، وتتبع السياق الفلسفي والفكري الذي نشأ فيه كل مشروع.

المبحث الأول

الأسس الفلسفية لفعل الخطاب من كانط إلى بيرس

يمثل فعل الخطاب واحدا من أهم المرتكزات الفلسفية الأساسية في الفكر المعاصر، لا سيما عند يورغن هابرماس وكارل أوتو آبل، وقد تشكل هذا المفهوم عبر مسار طويل من التطور الفلسفي، امتد من فلسفة كانط النقدية إلى براغماتية بيرس، ليندمج في النهاية ضمن مشاريع فلسفية حديثة تسعى إلى إعادة تأسيس العقلانية على أسس تواصلية.

١- **كانط: الشروط القبلية للعقل الأخلاقي:** مثل كانط لحظة حاسمة في الفلسفة الحديثة من خلال مشروعه النقدي، الذي سعى فيه إلى تحديد الشروط القبلية لإمكان المعرفة والتجربة الأخلاقية. وقد اعتبر أن الفعل الأخلاقي ينبغي أن يصدر عن إرادة حرة عاقلة، تخضع لمبدأ الواجب لا للنتائج، مما جعله يؤسس لفكرة الكونية في الاخلاق. (١)

وما بين نظرية الواجب وفكرة الاحترام المتبادل، مهَّد كانط لظهور تصور أخلاقي جديد، يرى أن كل فاعل حر يجب أن يُعامل بوصفه غاية لا وسيلة، وهو ما سيصبح لاحقًا أحد الشروط المبدئية في أي خطاب تواصلي حواري، خصوصا عند آبل.

٢- **كانط والتأسيس المعياري لفعل الخطاب:** استلهم آبل من كانط ما يسميه بـ: (الأسس المعيارية القبلية)، التي تجعل التواصل العقلاني ممكنًا، فهو يرى ان كل حوار لغوي بين طرفين يتضمن- ضمنًا- مجموعة من الالتزامات الأخلاقية، مثل: الصدق، واحترام الآخرين، والاعتراف المتبادل، وهي شروط لا تُستنتج من التجربة، بل تفترض بُعدا منطقيًا في عملية التواصل. (٢)

بهذا المعنى، فإن كانط لم يكتفِ بتأسيس العقل النظري أو الأخلاقي، بل فتح الباب أمام اعتبار العقلانية الأخلاقية شرطًا لإمكان الحوار الفلسفي، وهو ما سيظهر بوضوح في فلسفة آبل، وبصورة تداولية عند هابرماس. (٣)

٣- **بيرس: البراغماتية ومنطق الحوار:** قدَّم تشارلز ساندرز بيرس منظوراً مختلفاً، يقوم على التجريبية المنطقية والبراغماتية، حيث ركز على دور المجتمع التفسيري في إنتاج المعنى، واعتبر أن الحقيقة لا تنكشف دفعة واحدة، بل تُبنى تدريجيًا من خلال تبادل المبررات في فضاء من الاحترام العقلي المتبادل. (٤)

لقد اعتبر بيرس أن الحوار التشاركي هو السبب الوحيد لتقويم صحة المعارف، وأن كل فكرة يجب أن تكون قابلة للنقاش ضمن مجتمع عقلاني افتراضي، وهو المفهوم الذي التقطه أبل وهابرماس لاحقًا، كل من زاويته؛ لتشكيل نموذج للحقيقة قائم على الحجاج والاعتراف المتبادل (٥).

٤-نحو تلاقي الجذرين: (الكانطية والبراغماتية): نشأت أرضية فلسفية خصبة، بين الطابع المعياري الكانطي والبعد الحواري البراغماتي، مهّدت لصعود نظريات مثل البراغماتية الترانسندنتالية عند أبل، ونظرية الفعل عند هابرماس. فالفيلسوفان اعتمدا على هذه الجذور لتأكيد أن اللغة ليست مجرد وسيلة لنقل المعاني، بل هي أفق للفعل العقلي والأخلاقي المشترك. [٦]

أفاد هابرماس من بيرس عبر التركيز على اختبار ادعاءات الصلاحية في الفضاء العمومي، بينما ركز آبل على ضرورة التأسيس المعياري المسبق للحوار، مستندًا إلى كانط في مستوى الالتزام الأخلاقي القبلي.

المبحث الثاني

العقلانية التواصلية عند يورغن هابرماس

يعد يورغن هابرماس من أبرز فلاسفة الجيل الثاني للمدرسة الفرانكفورتية، وقد انطلق في مشروعه الفلسفي من نقد العقل الأداتي الذي برز بوضوح في الفكر الغربي الحداثي. ويرى هابرماس أن العقل الذي أفرزته الحداثة لم يحقق وعوده بالتحرر والتقدم، بل أسهم في تكريس أنماط جديدة من الهيمنة من خلال عقلانية وظيفية لا تعترف إلا بالجدوى والسيطرة. وقد انتقد هابرماس هذا النمط من العقل، مؤكدًا أنه أفضى إلى تشيؤ الإنسان وانفصاله عن القيم والأخلاق، مما أولد أزمة حضارية عميقة.[٧]

لقد مثلت نظرية الفعل التواصلي نقطة تحول مركزية في فكر هابرماس، إذ انتقل بها من مستوى النقد الاجتماعي إلى مستوى التأسيس الفلسفي لعقلانية جديدة، تقوم على الفهم المتبادل بدلاً من السيطرة، وعلى الحوار بدلًا من التوجيه الأحادي.

وطّور هابرماس مفهوم (الفعل التواصلي) بوصفه أداة لفهم الفعل الاجتماعي، الذي يقوم على التفاهم لا على النجاح أو التأثير، وحسب هذا المفهوم، فإن الفاعلين الاجتماعيين يسعون، من خلال أفعالهم اللغوية، إلى الوصول إلى توافق عقلاني حول موقف معين.[٨]

ويميز هابرماس بين نوعين من الفعل، هما: الفعل الاستراتيجي، الذي يهدف إلى التأثير وتحقيق غايات فردية، والفعل التواصلي، الذي يقوم على التفاهم العقلي المتبادل بين الذوات[٩]، ويعد هذا التمييز أساسا في فهم مشروع هابرماس، لأنه يوضح أن الفعل التواصلي ليس وسيلة لتحقيق غاية، بل غايته هي الفهم ذاته، الأمر الذي يجعله أساسًا للعقلانية الجديدة.

ويعتمد الفعل التواصلي على اللغة بوصفها وسيطًا عقلانيًا، لا أداة محايدة لنقل المعلومات، فاللغة عند هابرماس، هي: الأفق الذي تتحقق فيه الفاعلية الأخلاقية والاجتماعية؛ لأنها تتيح

إمكانات تبرير الادعاءات في سياق تفاعلي[١٠]، ومن هنا صاغ هابرماس ثلاثة أنواع من ادعاءات الصلاحية التي يختبرها الخطاب:

١-ادعاء الحقيقة: أن يكون القول مطابقًا للواقع

٢-ادعاء الصواب المعياري: أن ينسجم مع القيم والمعايير المشتركة.

٣-ادعاء الصدق: أن يعبر عن نية المتكلم الذاتية بصدق.[١١]

يشترط هابرماس لاختيار هذه الادعاءات وجود فضاء حواري مثالي يتمتع فيه كافة المشاركين بالمساواة، وحرية التعبير، وغياب الإكراه، والنية في الوصول إلى توافق عقلاني. وهذه الشروط تشكل جوهر ما يسميه بـ: (أخلاقيات الخطاب).

وفي هذا السياق، تصبح أخلاقيات الخطاب عند هابرماس بمثابة نظرية معيارية بديلة للنماذج الأخلاقية التقليدية، مثل: (أخلاق الواجب) عند كانط أو (النفعية) عند بنتام، فأخلاقيات الخطاب لا تفترض قواعد قبلية، بل تجعل النقاش العقلاني مصدرًا لإنتاج المعايير الأخلاقية، شريطة أن يكون الخطاب مفتوحًا وشاملاً وخاضعا للاختيار الحواري.[١٢]

وقد طبق هابرماس هذه النظرية على البنية السياسية الحديثة، لا سيما في تصوره للديمقراطية التداولية، حيث يرى أن النظام الديمقراطي لا يقتصر على الانتخابات والتمثيل، بل يجب ان تُبنى على فضاء عمومي يُتاح فيه للمواطنين المشاركة العقلانية في النقاشات التي تتعلق بمصيرهم الجماعي [١٣]. وبهذا الشكل، تجاوزت العقلانية التواصلية النماذج التقنية والإجرائية؛ لتصبح مشروعًا فلسفيًا وأخلاقيًا يهدف إلى إعادة بناء العلاقة بين المواطن والدولة على أساس الحوار والمشاركة.

إن مشروع هابرماس لا يقدم نظرية معرفية في الفعل التواصلي فحسب، بل يعيد تعريف العقلانية الحديثة، ويطرح بديلًا للفعل الأداتي الذي طغى في ظل الرأسمالية المتأخرة. ومن خلال الفعل التواصلي، يسعى هابرماس إلى تأسيس مجتمع يتضمن: الاعتراف المتبادل، والعدالة التشاركية، والمشاركة الديمقراطية الفاعلة.

المبحث الثالث

العقلانية الأخلاقية والبراغماتية الترانسندنتالية عند كارل أتو آبل

يُعد كارل أتو آبل من أبرز الفلاسفة الألمان المعاصرين الذين حاولوا إعادة بناء الفكر الفلسفي من خلال الجمع بين الإرث الكانطي والنزعة التداولية في اللغة. وقد طور آبل مشروعه الفلسفي في إطار (البراغماتية الترانسندنتالية)، محاولا تأسيس عقلانية معيارية قائمة على الفعل التواصلي من منظر كوني.

يرى آبل أن كل فعل لغوي يحتوي ضمنًا على افتراضات مسبقة لا يمكن تجاهلها، منها: الاعتراف المتبادل بين المتكلمين، وتحمل المسؤولية الأخلاقية تجاه الآخر، فعندما يُدلي شخص بحجة في سياق تواصلي، فإنه يفترض– حتى دون وعي– أن الطرف الآخر قادر على الفهم والمساءلة، وهذا ما يجعل الفعل اللغوي محملًا ببعد معياري قبلي.(١٤)

الأساس الذي ينطلق منه آبل في نقد النزعة الوضعية والتجريبية التي اختزنت العقل في أدوات إجرائية، متجاهلة البعد الأخلاقي والتداولي للغة. ومن هنا سعى إلى تأسيس أخلاقيات تواصلية لا تعتمد فقط على نتائج النقاش، بل على الافتراضات المعيارية التي تجعل الخطاب ممكنًا أصلاً.(١٥)

وقد فرق آبل بين نوعين من المبررات:

١–مبررات تداولية (Discursive Justifications): تنتج عن عملية الحجاج العقلاني بين الفاعلين.

٢– مبررات ترانسندنتالية (Transcendental Justifications): قائمة على الشروط المسبقة التي تجعل النقاش ذا معنى، مثل افتراض المسؤولية واحترام الآخر.(١٦)

وتمتاز فلسفة آبل في هذا السياق بأنها تُعيد الاعتبار لفكرة الغيرية، وتُركز على العلاقة بين المتكلم والمخاطب، لا بوصفها عملية نقل معلومات، بل بوصفها التزاما أخلاقيا متبادلا، ويُعد ذلك تطورًا مهمًا في النظرية النقدية، إذ يمنح الفعل التواصلي بُعدًا معياريًا أقوى مما طرحه هابرماس، الذي ركز فيه على الشروط الإجرائية للنقاش.(١٧)

كما يؤكد على أهمية الاعتراف بالآخر في بناء العقلانية الكونية، إذ لا يمكن تأسيس معايير أخلاقية شاملة دون افتراض مسؤولية جماعية عن الخطاب، فالعقلانية الأخلاقية، من هذا المنظور، ليست نتيجة اتفاق، بل نتيجة اعتراف قبلي بالكرامة الإنسانية لجميع المشاركين.(١٨)

ومن خلال هذا التصور، انفتح مشروع آبل على إمكانات واسعة التطبيق في مجالات العدالة العالمية، والحوار بين الثقافات، والنقاشات الأخلاقية العابرة للقوميات، باعتبار أن الفعل التواصلي الأخلاقي يجب أن يستبطن احترامًا كونيًا غير مشروط.(١٩)

ورغم التداخل بين مشروعي آبل وهابرماس، إلا أن آبل يُميز نفسه من خلال الإصرار على البُعد الترنسندنتالي المعياري للفعل، مقابل الطابع التداولي الإجرائي الذي ركز علية هابرماس. وهذا يجعل آبل مفكرًا اساسيًا في تأصيل أخلاقيات خطاب تتجاوز النسبي والتاريخي نحو الكوني.

المبحث الرابع

المقاربة الفلسفية بين هابرماس وآبل

١-**المنطلقات الفلسفية:** ينتمي يورغن هابرماس وكارل أوتو آبل إلى تقاليد الفلسفة النقدية الألمانية، ويتقاطعان في تبني مشروع فلسفي يستند إلى العقلانية التواصلية، تجاوز أزمات الحداثة. إلا أن لكل منهما منطلقاته الخاصة، فهابرماس ينطلق من خلفية سوسيولوجية وتحليلية، ويركز على البنية التداولية للمجتمع الحديث، بينما يركز آبل على التأسيس الفلسفي المعياري للفعل التواصلي؛ انطلاقًا من نقد الوضعية والمنطق الصوري، وتوظيف التراث الكانطي والبراغماتي في آن معًا.[٢٠]

هابرماس يُعلي من شأن الشروط التداولية والواقعية لقيام الخطاب العقلاني في الفضاء العمومي، بينما يُصر آبل على أن تلك الشروط تفترض مسبقًا التزامات معيارية لا يمكن البرهنة عليها من داخل الخطاب ذاته، بل تعد شروطًا ترانسندنتالية له.[٢١]

٢-**العقلانية التواصلية والأخلاق:** يتفق المفكران على ضرورة تجاوز العقل الأداتي نحو عقلانية تقوم على التفاهم والحوار، لكن يختلفان في نقطة التأسيس. فهابرماس يرى أن المعايير الأخلاقية تستنتج من النقاش المفتوح بين الفاعلين العقلانيين ضمن وضع مثالي للخطاب، أي أن المعايير ناتجة عن التداول ذاته. أما آبل، فيرى أن هناك افتراضات أخلاقية قبلية– مثل: الاعتراف بالآخر والمسؤولية– وتعتبر شرطًا مسبقًا لإمكان الخطاب ذاته وبالتالي، فهي سابقة من حيث المنطق لا الزمان.[٢٢]

وقد أدى هذا الاختلاف إلى جدل واسع بين الفيلسوفين، لا سيما حول ما إذا كانت أخلاقيات الخطاب ينبغي أن تبنى بالكامل من داخل التداول، أم أن لها أساسًا ترانسندنتاليًا ضروريًا. وانتهى النقاش إلى إمكانية التكامل بين الرؤيتين ضمن ما يعرف اليوم بـ: (أخلاقيات الخطاب).[٢٣]

٣-**اللغة والحجاج:** المشروعان الفلسفيان يمنحان اللغة والحجاج دورًا مركزيًا في بناء العقلانية. فبالنسبة لهابرماس، اللغة هي وسيط اجتماعي يستخدم لتنسيق الأفعال والتوصل إلى التفاهم، أما آبل، فاللغة ليست مجرد أداة بل هي فضاء قيمي تتجلى فيه شروط التفاهم الأخلاقي.[٢٤]

وقد أفاد الفيلسوفان من فلسفة الكلام (Speech Acts)، لكن آبل طورها لتأكيد وجود مقدمات معيارية ضمنية في كل خطاب، فيما ركز هابرماس على الأُطر التداولية والمجتمعية لتطبيقات هذه النظرية.[٢٥]

٤-**العلاقة بين النظرية والمجتمع:** يميل هابرماس إلى جعل نظريته في الفعل التواصلي إطارًا لتحليل المؤسسات السياسية والفضاء العمومي، وقد قدم تطبيقات موسعة لها في مجال الديمقراطية والإعلام والقانون. بينما آبل أقل انخراطًا في التطبيقات المؤسسية، وأكثر ميلًا لتأسيس فلسفة أخلاقية كونية توجه الفكر والسلوك في زمن الأزمات.(٢٦)

ورغم ذلك، فإن آبل لا يُغفل البعد العلمي، بل يدعو إلى تحمل الفلاسفة لمسؤوليتهم الأخلاقية في الشأن العام، لا سيما في ظل الأزمات البيئية، والتمييز، والهيمنة التكنولوجية.(٢٧)

٥-**التكامل والاختلاف:** رغم الاختلافات بين هابرماس وآبل، إلا أن المشترك بينهما كبير، الأمر الذي دفع العديد من الباحثين إلى اقتراح قراءة تركيبية تفيد من قوة الطرح التداولي عند هابرماس وعمق التأسيس المعياري عند آبل. فكلاهما يطمح إلى بناء عقلانية جديدة تتجاوز الفردانية، وتعيد الاعتبار للأخلاق والتفاهم المشترك. وهذا ما يجعل من المقارنة بينهما أمرًا ضروريًا لفهم تطور الفكر الفلسفي المعاصر، ولفتح آفاق جديدة لفلسفة تتفاعل مع متغيرات الواقع دون أن تفقد بوصلتها الأخلاقية.

المبحث الخامس

تطبيقات العقلانية التواصلية في قضايا معاصرة

لم تبق العقلانية التواصلية حبيسة الفضاء النظري الفلسفي، بل تجاوزت ذلك لتصبح أداة تحليلية وتفسيرية تُستثمر في معالجة قضايا العصر على المستوى السياسي أو الأخلاقي الثقافي. وقد قدم كل من هابرماس وآبل تصورات تتسم بالمرونة النظرية والثراء المعياري، الأمر الذي أتاح إمكانية تفعيلها في الواقع العملي، لا سيما في المجتمعات التي تسعى إلى بناء نظم عادلة تقوم على الحوار والمشاركة والتفاهم الأخلاقي.

١-**العدالة العالمية وتجاوز النزعة النسبية:** تشكل العدالة الكونية أحد أهم التحديات الفلسفية في عالم يزداد ترابطًا، ويشهد في نفس الوقت تفاوتات هائلة. وقد حاول هابرماس من خلال نظرية الفعل التواصلي واخلاقيات الخطاب أن يؤسس لعدالة قائمة على قوة الحجة لا حجة القوة، بحيث تكون القيم الأخلاقية نتاجًا لحوار عقلاني حر بين الفاعلين. (٢٨)

أما آبل، فقد سعى إلى تأصيل هذا المبدأ من خلال رؤيته للبراغماتية الترانسندنتالية، إذ اعتبر أن المعايير الأخلاقية الكونية ليست مستخلصة من التجربة، بل مفترضة ضمنًا في كل فعل تواصلي حقيقي، الأمر الذي يجعلها ملزمة للجميع بصرف النظر عن خلفياتهم الثقافية أو الدينية.(٢٩)

٢-**الحوار بين الثقافات، إمكانية الاعتراف المتبادل:** في سياق تصاعد النزاعات الثقافية والهوياتية، طرح هابرماس ضرورة تبني نموذج الاعتراف المتبادل في الفضاء العمومي، القائم على تفاهم عقلاني يضمن لكل طرف التعبير عن هويته دون إقصاء. وقد ركز على أهمية التداول العمومي غير الإكراهي بوصفه شرطا للتعددية العادلة. (٣٠)

أما آبل، فقد بيَّن في كتاباته حول الإنسانية المشتركة أن أي خطاب بين الثقافات لابد أن يقوم على افتراض مسؤولية متبادلة واعتراف بالآخر بوصفه شريكًا متساويًا في إنتاج المعنى. وهذا ما يجعل من فلسفته دعوة لتأسيس أخلاق حوارية عابرة للحدود الدينية والعرقية. (٣١)

٣-**المجال الرقمي والفضاء العمومي:** شهد العالم تحولات كبرى مع صعود الانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي، مما أدى إلى إعادة تشكيل المجال العمومي، ويرى هابرماس أن هذه الوسائط قد تفتح إمكانيات جديدة للتداول العمومي، لكنها في الوقت نفسه تُعرض الخطاب للتشويه بسبب التسليع والهيمنة الإعلامية. (٣٢)

وفي هذا السياق، يمكن تطبيق معايير الخطاب المثالي التي حددها هابرماس، مثل: الشمول، والمساواة، وغياب الإكراه، كمقاييس نقدية لتمييز التواصل الحقيقي عن الخطاب الدعائي أو التحريضي في الفضاء الرقمي.

٤-**قضايا الهوية والاعتراف في العالم العربي:** إن من أكثر القضايا إلحاحًا في العالم العربي اليوم هي تلك المتعلقة بالهوية والاعتراف، سواء في صيغها الدينية أو الطائفية أو القومية. وهنا تُظهر العقلانية التواصلية إمكانيات نظرية عالية في فتح أفق لحوار مجتمعي شامل، يقوم على أساس الاعتراف المتبادل والتبرير الأخلاقي، بدلاً من الإقصاء او العنف الرمزي.

ويمكن تفعيل هذا النموذج– خصوصًا في مجتمعات ما بعد الصراع – من خلال ورشات حوار، وبرامج تربوية، وإصلاحات قانونية تُبنى على أسس تداولية.

٥-**نحو خلاق مسؤولية عن زمن الأزمات:** من خلال مشروعه في: (أخلاقيات الخطاب ومسؤولية البقاء الإنساني) طرح آبل تصورًا اخلاقيًا يربط الفلسفة بالواقع الوجودي للإنسان في ظل التهديدات البيئية، والتفكك القيمي، واللامبالاة العالمية. (٣٣)

إن العقلانية التواصلية هنا لا تبقى نظرية، بل تصبح نداءً فلسفيًا نحو تحمل المسؤولية الجماعية عن مصير الإنسان والعالم، وهو ما يجعل من مشاريع هابرماس وآبل أدوات لفهم وتوجيه العالم لا مجرد تأمله.

الخاتمة

ناقش هذا البحث إشكالية مركزية في الفلسفة المعاصرة، تتمثل في مدى قدرة العقلانية التواصلية على تأسيس نظرية أخلاقية كونية قابلة للتطبيق في المجتمعات الحديثة، من خلال دراسة مقارنة بين يورغن هابرماس وكارل أوتو آبل. وقد تبين أن الفيلسوفان انطلقا من قناعة مشتركة بأن تجاوز العقل الأداتي والهيمنة التقنية لا يتم إلا بإعادة الاعتبار للفعل التواصلي، بوصفه الفضاء الذي يلتقي فيه العقل بالأخلاق، والفرد بالآخرة، والمجتمع بالتاريخ.

واتضح من خلال التحليل أن مشروع هابرماس يتميز بتطبيقيه عالية، لا سيما في مجالات السياسة والقانون والديمقراطية التداولية، حيث ترتكز نظريته على الشروط التداولية التي تختبر في الفضاء العمومي. أما آبل، فقدم تصورًا أكثر تأصيلًا للعقلانية من خلال براغماتيته الترانسندنتالية، مؤكدًا أن كل فعل لغوي يفترض ضمنيًا التزامات معيارية أخلاقية سابقة على التداول، ما يمنح خطابه طابعًا كونيًا لكنه أقل مباشرة في التطبيق المؤسسي.

وبينما يسعى هابرماس إلى بناء عقلانية تستند إلى قوة الحجة وتوافق المشاركين، ينطلق آبل من تأسيس ما يفترض قبل كل تواصل، أي البنية القبلية التي تجعل الخطاب الأخلاقي ممكنًا أصلًا، هذا الاختلاف في المنهج لا يعني التناقض، بل يفتح أفقًا تكامليًا بين المقاربتين، إذ يمكن النظر إلى مشروع آبل وبصفه أرضية معيارية تسبق مشروع هابرماس، في حين يوفر هابرماس الآليات العملية لتفعيل تلك المعايير داخل المجتمع المدني.

ومن خلال تتبع الجذور الفلسفية لفعل الخطاب من كانط إلى بيرس تبين أن مشروع كل من هابرماس وأبل ينتمي إلى تقليد فلسفي نقدي مشترك، يسعى على تجاوز النسبية الأخلاقية دون السقوط في النزعة الميتافيزيقية الصارمة. كما أظهرت التطبيقات المعاصرة أن العقلانية التواصلية ليست مجرد بناء نظري، بل تمثل أداة فعالة لفهم وتحليل قضايا مثل: العدالة العالمية، والحوار الثقافي، والمجال الرقمي، والهوية.

ومن ثم، يمكن القول إن المشروعين يتكاملان في كثير من النقاط، حيث يُغطي هابرماس الجانب المؤسسي والسياسي، بينما يُغطي آبل الجانب الأخلاقي التأسيسي. وبناء على ذلك، فإن أي تصور لعقلانية تواصلية كونية قابلة للتطبيق في مجتمعاتنا الحديثة، لا يمكن أن يكتمل إلا عبر الإفادة من المشروعين معًا، أي من خلال المزج بين التأصيل المعياري عند آبل والتطبيق التداولي عند هابرماس.

إن دمج العقلانية التداولية عند هابرماس بالتأصيل الأخلاقي الترانسندنتالي عند آبل لا يثري البحث الفلسفي المعاصر فحسب، بل يفتح المجال أمام مقاربات جديدة تسهم في إعادة بناء

العلاقة بين الفلسفة والمجتمع، وبين الخطاب والنقد، وبين الذات والآخر، وهو ما يجعل من هذا البحث دعوة مفتوحة لاستئناف التفكير الفلسفي في قضايا العقل والأخلاق من منظور حواري يتجاوز الانغلاق الثقافي والنسبية المعيارية، وتسعى نحو بناء عقلانية مشتركة تمكن الإنسان المعاصر من مواجهة تحدياته الأخلاقية والاجتماعية والسياسية.

الهوامش:

1.Kant, lmmanuel. (1993).Grounding for the Metaphysics of Morahs. Trans. James W. Ellington. Hackett Pulishing, lndianapoli ,USA, ,p42.

2.Apel, Karl, Otto. (1981). Towards a Transformation of Philosophy, Routledge ,London ,UK, P.25-30.

٣.البكيري نادر (٢٠١٢)، الحوار والعقلانية في فلسفة كارل أتو آبل، مجلة الفكر المعاصر، العدد ١٢، ص ١٠١.

4.Peirce, charles Sanders.(1955). Philosophical Writing of Peirce. Edited by Justus Buchler . Dover Publications ,New York, USA ,p.89-91.

5.Habermas. Jurgen. (1984). The Theory of Communicative Action. Vol: Reason and the Rationalization of Society, Beacon Press. Beacon ,USA, P: 70-73.

٦.درويش فاطمة (٢٠١٧)، من أجل أخلاق تواصلية كونية: قراءة في مشروع كارل أتو آبل، مجلة العلوم الإنسانية، العدد ٨٩، ص ٣٠

7.Horkheimer, M, Adorno, T.W. (1997). Dialectic of Enlightenment. Stanford University Press, P. 34

8.Habermas. Jurgen. The Theory of Communicative Action. P: 285-290.

9.Mc Carthy, Thomas. (1978): The Critical Theory of Jurgen Habermas. MIT Press, Cambridge,USA, P. 45.

10.Habermas, Jurgen. (1990). Moral Consciousness and Communicative Action. MIT Press. P. 116-118.

١١.الشيخ، محمد حميدان(٢٠١٧).العقلانية التواصلية عند يورغن هابرماس: من نقد الحداثة إلى افق الخطاب الأخلاقي، مجلة الفكر العربي المعاصر. العدد١٨١، ص١٢.

١٢.داهش عبد الحسين (٢٠١٦): الخطاب والأخلاق في الفلسفة المعاصرة: هابرماس نموذجًا. مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بابل، العدد ٢٨، ص ٥٩.

13.Habermas. Jurgen. (1996). Between Facts and Norms: Contributions to a Discourse Theory of Law and Democracy. MIT Press ,Boston , USA,P. 322-326.

14.Apel, Karl. Otto. Towards a Transformation of Philosophy, , P.82.

15.Apel, Karl. Otto. (1994). Selcted Essays: Volume1-Towards Transcendntal pragmatics.ed .Eduardo Mendieta.New Jersey: Humanities prss lnternational , P. 44.

16.Benhabib .s.(1986).Critique, Norm and Utopia .Columbia University Press, p.106-140.

17.Mc Carthy, Thomas. (1978): The Critical Theory of Jurgen Habermas, , P. 138-140.

١٨.البكيري، نادر (٢٠١٥)، الأسس الأخلاقية للخطاب عند كارل أتو آبل، مجلة الكوفة للآداب، العدد٢٥ص ٧٧.

١٩.الرفاعي، عبد الجبار، (٢٠١٤)، الحوار والاعتراف في فلسفة آبل، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، ص٤٢

20.Habermas, Jurgen. The Theory of Communicative, P. 75.

21.Apel, Karl. Otto. (1990). Discourse Ethics and The Question of Truth, MIT Press, P.28.

٢٢.البكري نادر (٢٠١٢)، الحوار والعقلانية في فلسفة كارل أوتو آبل، مجلة الفكر المعاصر مرجع سابق، ص ١١٠.

٢٣.أحمد محمود (٢٠١٨)، العقلانية التواصلية وسؤال الحداثة: قراءة في مشروعي هابرماس وآبل، مجلة الفلسفة المعاصرة، العدد ٢٠، ص ٩٢.

24.McCarthy. T. (1978). The Critical Theory of Jurgen Habermas, P.129.

25.Habermas, Jurgen. Between Facts and Norms, P. 17-20.

٢٦.درويش فاطمة (٢٠١٧)، من أجل أخلاق تواصلية كونية: قراءة في مشروع كارل أوتو آبل، مرجع سابق، ص ٨٩.

27.Apel. Karl. Otto. (2001), The Response of the Human Situation as Such and Especially Today: Leuven University Press,. P. 49.

28.Habermas. Jurgen. Between Facts and Norms: Contributions to a Discourse Theory of Law and Democracy. P. 345.

29.Apel, Karl. Otto. Is the Ethics of the Ideal Communicative Community a Utopia?. P. 35-40.

30.[30] Mc Carthy, Thomas. (1978): The Critical Theory of Jurgen Habermas. P. 87.

31.[31] Apel, Karl. Otto. The Response of Discourse Ethics to the Moral Challenge of the Human Situation. P: 48-50.

٣٢.درويش فاطمة، من أجل أخلاق تواصلية كونية: قراءة في مشروع كارل أوتو آبل، مرجع سابق، ص ٣٢.

33.[33] Apel. Karl. Otto. Diskurs und Verantwortung, p: 97.

قائمة المراجع:

أولا: المراجع العربية:

١-أحمد محمود (٢٠١٨)، العقلانية التواصلية وسؤال الحداثة: قراءة في مشروعي هابرماس وآبل، مجلة الفلسفة المعاصرة، العدد ٢٠.

٢-البكري نادر (٢٠١٢)، الحوار والعقلانية في فلسفة كارل أوتو آبل، مجلة الفكر المعاصر، العدد١٢.

٣-البكري نادر (٢٠١٥)، الأسس الأخلاقية للخطاب عند كارل أتو آبل، مجلة الكوفة للآداب، العدد٢٥.

٤-حميدان محمد الشيخ (٢٠١٧). العقلانية التواصلية عند يورغن هابرماس: من نقد الحداثة إلى أفق الخطاب الأخلاقي. مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ١٨١.

٥-داهش عبد الحسين (٢٠١٦)، الخطاب والأخلاق في الفلسفة المعاصرة: هابرماس نموذجًا، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بابل، العدد ٢٨.
٦-درويش فاطمة (٢٠١٧)، من أجل أخلاق تواصلية كونية: قراءة في مشروع كارل أوتو آبل، مجلة العلوم الإنسانية، العدد ٣٠.
٧-الرفاعي عبد الجبار(٢٠١٤)، الحوار والاعتراف في فلسفة آبل، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد.

Sources and references in English language

1-Ahmed, M. (2018). Communicative rationality and the question of modernity: A reading in the projects of Habermas and Apel. Journal of Contemporary Philosophy, (20).
2-Al-Bakiri, N. (2015). The ethical foundations of discourse in the thought of Karl-Otto Apel. Kufa Journal of Arts, (25).
3-Al-Bakri, N. (2012). Dialogue and rationality in the philosophy of Karl-Otto Apel. Journal of Contemporary Thought, (12).
4-Al-Rifai, A.-J. (2014). Dialogue and recognition in Apel's philosophy. Baghdad: Center for the Study of Philosophy of Religion.
5-Dahesh, A.-H. (2016). Discourse and ethics in contemporary philosophy: Habermas as a model. Journal of Human Sciences, University of Babylon, (28).
6-Darwish, F. (2017). Toward a universal communicative ethics: A reading in the project of Karl-Otto Apel. Journal of Human Sciences, (30).
7-Humaidan, M. A.-S. (2017). Communicative rationality in Jürgen Habermas: From the critique of modernity to the horizon of ethical discourse. Journal of Contemporary Arab Thought, (181).

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

8-Apel, K. O. (1981). Towards a Transformation of Philosophy, Routledge.
9-Apel, K. O. (1990). Is The Ethics of the Ideal Communicative Ethics Controversy. MIT Press.
10-Apel, K. O. (2001) The Response of Discourse Ethics to the Moral Challenge of the Human Situation as such and Especially Today: Leuven University Press.
11-Apel, K. O. (2006). Diskurs und Verantwortung: Das Problem des Ubergangs Zur Post Konventionellen Moral Suhrkamp Verlag.
12-Apel, Karl. Otto. (1994). Selcted Essays:Volume1-Towards Transcendntal pragmatics.ed .Eduardo Mendieta.New Jersey: Humanities prss lnternational.
13-Benhabib .s.(1986).Critique, Norm and Utopia .Columbia University Press.
14-Habermas, J. (1989). The Theory of Communicative Action. Vol: Reason and the Rationalization of Society. Beacon Press.
15-Habermas, J. (1990). Moral Consciousness and Communicative Action. MIT, Press.
16-Habermas, J. (1996). Between Facts and Norms: Contributions to a Discourse Theory of Law and Democracy. MIT, Press.
17-Horkheimer, M. Adorno, T.W. (1997). Dialectic of Enlightenment, Stanford University Press.
18-Kant ,L .(1993).Grounding for the Metaphysics of Morahs. Trans. James W. Ellington. Hacktt Pulishing , lndianapoli ,USA,
19-Mc Carthy, T. (1978). The Critical Theory of Jurgen Habermas. MIT, Press.
20-Peirce, charles Sanders.(1955).Philosophical Writing of Peirce. Edited by Justus Buchler. Dover Publications ,New York, USA